جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

ماجستير لغة: أ.د أمل صالح مهدي

عنوان المحاضرة: نشأة أصول النحو

المحاضرة الأولى

المحاضرة الأولى

البذور الأولى لنشأة علم النحو وأصوله:

كانت العرب تنطق على سجيتها وبين ما توحي إليها سليقتها ولا تتأثر ألسنتها في خطأ ولا يشوب كلامها لحن ، ولما انتشر الاسلام وخالط العرب العجم فسدت السليقة العربية وبدأ اللحن يدب إلى الألسنة ، فقد روي أنّ رجلا لحن بحضرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ضل) ، ورووا أنّ أحد ولاة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب إليه كتابا به بعض اللحن ، فكتب إليه عمر (أن قنع كاتبك سوطا) ، غير أنّ اللحن في صدر الاسلام كان لا يزال قليلا بل نادرا وكلما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتسع شيوعه على الألسنة ولا سيما بعد تعرض الشعوب المغلوبة التي كانت تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية ، وبدأت ألسنة العرب بالضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة .

وأختلف الناس في أول من رسم النحو فقال قائلون أبو الأسود الدؤلي (٦٩هـ) وقيل : نصر بن عاصم وقيل بل هو عبد الرحمن بن هرمز ، وأكثر الناس يذهبون إلى أنّ من وضعه أبو الأسود ولكنهم اضطربوا في نقل الرواية أكان من عمله وحده أم بأمر من الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقيل سبب وضعه أنّه سمع قارئًا يقرأ قوله تعالى : (إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُه) بكسر اللام في رسوله ، وقيل أنّه رسمها حين سمع بنته تقول : (ما أحسنُ السماء) وهي لا تريد الاستفهام بل التعجب .

بعد ذلك ظهرت بواعث مختلفة لنشأة النحو منها الباعث الديني وكان أهم هذه البواعث ويتمثل بحرص المسلمين في الحفاظ على لغة القرآن الكريم من تسرب اللحن إليها ، ومن البواعث أيضا البواعث الاجتماعية والقومية التي كان سببها امتزاج العرب مع الأعاجم ومصاهرتهم لهم وغيرها من البواعث المختلفة .

أمّا علم أصول النحو فقد نشأ هذا العلم في نهاية القرن الأول ، وبدايات القرن الثاني الهجري عمليا متزامنا مع نشأة علم النحو فقد ارتبطت نشأة أصول النحو في الحضارة العربية ببواعث مختلفة وأهمها الدينية من خلال تأثرهم بأصول الفقه ، حيث بدأ على هيئة غير منفصلة عن علوم اللغة العربية الأخرى ، فلم يكن هناك تمييز بينه وبين علوم النحو ، أو البلاغة أو التصريف ، أو العروض ، وغيرها من العلوم ، ومن الإشارات الواضحة التي تدل على تأصيل هذه النشأة هي ظهور هذا العلم على يد أبرز النحاة أمثال عبدالله بن أبي أسحاق الحضرمي ١١٧هـ الذي يعد أول من بعج النحو ومد القياس ، وشرح العلل ، ثمّ تلاه عيسى بن عمر الثقفي ١٤٩هـ ، الذي تبعه فيما ذهب إليه ، وجاء بعدهم أبو عمرو بن العلاء ثمّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) صاحب معجم العين الذي بلغ على يديه القياس والتعليل غاية قصوى ، ثمّ جاء من بعده تلميذه سيبويه (١٨٠هـ) الذي جمع في كتابه علوم العربية كافة، في حين كان أول ظهور لمصطلح الأصول على يد أبي بكر السراج (٣١٦هـ) في كتابه (الأصول في النحو) ، فقد فصل أبو بكر بن السرّاج مسائله ومحّص الدقائق الواردة فيه ، وكان لهذا الكتاب دورًا كبيرًا في هذا العلم بالإضافة إلى إشارته فيه إلى أقسام العلل النحوية ، والضرورة الشعرية ، كما أضاف كتاب (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي الكثير لهذا العلم ، إذ حوى تفصيلًا للعل النحوية ، ومن العلماء الذين جاء بعد ابن السراج ابن جني وتأليفه لكتاب الخصائص وابن البركات الأنباري الذي عالج مسألة مباحث أصول النحو على غرار أصول الفقه ، وكان الظهور الحقيقي لهذا العلم في كتاب الاقتراح في أصول النحو للسيوطي فهو كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج على منواله في علم أسبق إلى ترتيبه ، ولم اتقدم إلى تهذيبه ، وهو أصول النحو والحقيقة أنه سبق بكتاب الخصائص ، وكتاب لمع الأدلة ، ولعل السيوطي قصد السبق في الترتيب والتبويب مع إضافة شيء من بنات أفكاره .

أصول النحو

الأصول لغة : أخذت كلمة (الأصول) في أصلها اللغوي من المادة اللغوية (أصلَ) ، وأصل الشيء أسفله ، والقصد في أسفل الشيء هو الأساس الذي يتفرع منه ومبدؤه الأول ، وهذ ما ورد في معجمي (لسان العرب) و(القاموس المحيط) .

علم الأصول اصطلاحا : ذكر محمد الخضري في كتابيه (أصول الفقه) و(علم أصول الفقه) أنّ مفهوم علم الأصول يتمثل في كونه علما يبحث في قواعد معينة يتم فيه استنباط الأحكام الفرعية الخاصة بذلك العلم .

النحو لغة : قال ابن جني(٣٩٢هـ) : وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك، قصدت قصدا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم .

النحو اصطلاحًا : وقال ابن السراج(٣١٦هـ) (في (الأصول): " النحو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب ".

قال ابن جني(٣٩٢هـ) (في الخصائص): " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شد بعضهم عنها رد به إليها.

وقال الخضري(١٣٤٥هـ)(١٩٢٧م):" النحو علم بأقيسة تغيير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب.

علم أصول النحو: عرفه ابن الأنباري(٥٧٧هـ) في (لمع الأدلة) : بأنّه العلم الذي يتناول الأدلة النحوية التي تمّ تحليلها من فروع النحو وفصوله .

وعرفه السيوطي (٩١١هـ) : بأنه علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل.

فقوله(علم) ، أي صناعة فلا يرد ما أورد على التعليل به في حد أصول الفقه، من كونه يلزم عليه

فقده، إذا فقد العالم به، لأنه صناعة مدونة، مقررة وجد العالم به، أم لا.
وقوله (عن أدلة النحو) يخرج كل صناعة سواه، وسوى النحو.
وقوله (الإجمالية) احتراز في البحث عن التفصيلية، كالبحث عن دليل خاص بجواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، وبجواز الإضمار قبل الذكر في باب الفاعل والمفعول، وبجواز مجيء التمييز مؤكدا، ونحو ذلك، فهذه وظيفة علم النحو نفسه، لا أصوله.

وقوله (من حيث هي أدلته) بيان لجهة البحث عنها، أي البحث عن القرآن بأنه حجة في النحو، لأنه أفصح الكلام، سواء كان متواترا أم آحادا، وعن السنة كذلك بشرطتها الآتي، وعن كلام من يوثق بعربيته كذلك وعن إجماع أهل البلين كذلك، أي إن كلا مما ذكر يجوز الاحتجاج به دون غيره، وعن القياس وما يجوز من العلل فيه وما لا يجوز.
وقوله (وكيفية الاستدلال بها) ، أي عند تعارضها ونحوه، كتقديم السماع على القياس واللغة الحجازية على التميمية إلا لمانع، وأقوى العلتين على أضعفهما، وأخف الأقبحين على أشدهما قبحا، إلى غير ذلك. وهذا هو المعقود له من الكتاب السادس.
وقوله (وحال المستدل) ، أي المستنبط للمسائل من الأدلة المذكورة، أي صفاته وشروطه، وما يتبع ذلك من صفة المقلد والسائل. وهذا هو الموضوع له الكتاب السابع.

الفائدة من أصول النحو : التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل، فإن المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض الشك والارتياب ".

أهمية علم أصول النحو :

تتمثل أهمية علم أصول النحو في كونه الأساس الذي بني عليه علم النحو ، فالنحو منذ بداية نشأته كان قد وضع بناء على قواعد وأسس اعتمدها العلماء بعد دراستها وتحليلها ، ثم ساروا عليها وألزموا من بعدهم بها ، فالعالم بأصول النحو المتمثل بأدلته التفصيلية سيكون عالما بالضرورة بالأحكام النحوية الفرعية ، وما كان علم أصول النحو موجودا إلّا ليقوم بتهذيب علم النحو وفروعه وأصوله ، والحكم على صحّة ما يجوز من الأحكام الفرعية بالاستعانة بمرجع أصلي أساسي ، فهذا العلم يمكن العالم فيه من اصدار الاحكام بناء على بصيرة ودلائل راسخة.